بصيغة المتكلم

برج البراجنة
مذاق الصبار وشوكه

نراهم على الشاشات، ونعود اليهم كلما تحيرنا بأمر ما في الشأن الفلسطيني، هم ابناء وبنات فلسطين، ابناء المخيم او أقاربه، ابتعدوا او اقتربوا يبقون كذلك بقاء الوعد بالعودة. اما اليوم، والآن هنا، فهم سيتخففون من السياسة ليتحدثوا كل بصيغة المتكلم عن «المخيم». اليوم ابن برج البراجنة مسؤول حركة «حماس» رأفت مرّة

رأفت مرة*

لا أعرف كيف استدرجتني «مخيمات» لأكتب عن برج البراجنة! ولا أعرف لم اختارتني «العفريتة» الساكنة في كل المخيمات الفلسطينية في الوقت نفسه، لأنبش عشقي ومواجعي، وأسطّر كلمات عن 33 سنة في حياة تختصر في مخيم، أو وطن صغير اسمه برج البراجنة، عشت فيه وعاش في قلبي وعقلي.

حين كنت طفلاً أوائل السبعينيات، كان والدي فهد مرة «أبو العبد» يصطحبني مداورة مع إخوتي، لنجرّب ونتعلّم، من مخيم الرشيدية قرب صور، الى بيروت لزيارة الأقارب هناك. كنا نزور عمي خالد (أبو شاهر) في مخيم تل الزعتر، وعمتي طليبة (أم عبد الله)، ونعرج على برج البراجنة لنزور عمتي صديقة (أم فخري).

ربما كان رأفت مرة من افضل الشخصيات التي تمثل «حركة حماس» امام جمهور غير متدين. من مؤسسي الحركة في لبنان، رجل منفتح، مرن، مبتسم، مبادر.. هو الوجه الذي تتمناه الحركة لنفسها بين من يقتصر ايمانهم على القضية الفلسطينية دون التطرق الى السماء. يتلقف كل مبادرة قد تصب في مصلحة اهله، ولا يتورع عن الاتصال لشكر هنا او هناك. هكذا، كرّم باسم الحركة «مخيمات» بعد اسابيع على ظهورها، محتفياً بنا وبها. وهو رجل مؤمن، تميزه بدلا عن «زبيبة» الجباه، ابتسامة نابعة من قلب نظيف. يتمنى المصالحة الفلسطينية ولو انه قد يهز برأسه يأساً حين تتعمق معه بالحديث، لتكتشف بعد حين ان كل الحق كان مع تلك الابتسامة الصادقة الحزينة.

وعلاقتي بمخيم برج البراجنة تعود الى ذاك الوقت، لكنها توطدت بعد عام 1975. فقد حولت اسرائيل مخيم الرشيدية منذ عام 1974 إلى مكان لا يحتمل العيش فيه بسبب قصفها المتواصل. وشيئا فشيئا، صارت الحياة هناك صعبة للغاية، فقرّر جهاد الدليل، المغترب، زوج أختي عطاف الموظفة في الأونروا، الانتقال إلى برج البراجنة.

هكذا اصبحنا نكثر المجيء إلى المخيم لزيارة أختي. وكانت عطاف تحرص، كلما سنحت الفرصة لها، على الإرسال في طلبنا كي نقيم عندها، لتخفف عنا صعوبة العيش في الرشيدية، ولتجمعنا بأبنائها الذين هم في مثل سنّنا. وكنت أنا وإخوتي وأبناء أختي نبقى معاً، ونأكل معاً، ونلهو ونشقى معاً.

بقينا نتردد إلى مخيم براج البراجنة حتى كان شهر آذار/مارس 1979، يومها تعرّض مخيم الرشيدية ومحيطه لقصف إسرائيلي عنيف بمدافع 155 و175. كان الوضع لا يحتمل، فقرّر والدي (رحمه الله) إبعادنا عن المخيم. كان قراراً استراتيجياً خطيرا لوالدي الذي ناضل في فلسطين، وكان منزلنا في بلدة سحماتا موقع قيادة لجيش الإنقاذ، فقصفه الطيران الحربي الإسرائيلي.

وكان والدي يرفض مغادرة مخيم الرشيدية، ويرفض الذهاب للملجأ للاحتماء من القصف الذي كابدنا مآسيه طوال خمس سنوات، خصوصاً ان تسعين بالمائة من أهالي المخيم غادروه، لكن بقينا نحن، وبقيت والدتي. كانت حسنية محمد (أم العبد) رحمها الله، تنقلنا «كالدجاجة التي تنقل صيصانها» كما كانت تقول، من مكان إلى آخر لحمايتنا من القصف.

منذ عام 1979 إلى اليوم، أقمنا في مخيم برج البراجنة في ستّة منازل. الأول دمّره الاحتلال عام 1982، والثاني دمّرته الحروب الملعونة مع حركة أمل، والبيوت الأخرى كانت محلّ تهجير دائم.

في الرشيدية، الذي غادرته وأنا في الثالثة عشرة من عمري، تعلمت العاطفة والرومانسية والصمود. وفي برج البراجنة تعلمت الحياة والانفتاح والسياسة، وعايشت صخب المدينة وقساوة العيش.

في برج البراجنة انضممت إلى الحركة الإسلامية بشكل تنظيمي، فاجتمعنا عام 1982 في مسجد الروضة لنقرّر كيف نواجه الاحتلال

> **عند كل زاروب قصة وكل منعطف حكاية**

وواجهناه، ثم اجتمعنا عام 1983 لحراسة المخيم من أي مجزرة جديدة، كالتي ارتُكبت في صبرا وشاتيلا، ثم أسسنا مجموعات عسكرية للدفاع عن المخيم، وشكلنا نواة العمل الإسلامي الفلسطيني الذي صار اسمه حركة حماس في لبنان.

في المخيم تعرفت إلى أهله الطيبين، وإلى شبابه الرائع، وإلى رجاله المخلصين، وإلى عائلاته الكريمة.

هنا تعلمت ودرست، وعملت وشقيت، ولعبت وضحكت، وحزنت وبكيت.

هنا أنشأنا «شللاً» تعرف الشقاوة، وتدبّر المقالب، وتتحدى الملل.

هنا تعرفت إلى مجموعة امتهنت السياسة، واحترفت النضال.

هنا تعرفت إلى فتاة طيبة من المخيم اسمها سمر حليمة، صارت أماً لأولادي الأربعة تحملني وتحملهم.

أسير في أزقة مخيم برج البراجنة، وعند كل «زاروب» قصة، وعند كل منعطف حكاية.

هنا أنشأنا ملعباً لكرة القدم، حفرناه بالأظفار، وهنا نظمنا أول مسيرة بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان في 30 آذار/مارس 1983 ذكرى يوم الأرض، وهي أول مسيرة فلسطينية في بيروت بعد خروج الثورة الفلسطينية، وفي عهد الرئيس أمين الجميّل، فاعتقلتنا السلطات اللبنانية، وسجنت في المحكمة العسكرية في منطقة المتحف لمدة أسبوع مع قادة التظاهرة.

هنا عشنا أروع أيام الدراسة، في مدرسة «مبرّة الملك فيصل»، التي تُعرف باسم «مدرسة السعودية»، وهنا شاغبنا في مدرسة تلتزم النظام والطاعة، حتى اضطر مدير المدرسة الأستاذ أحمد عرابي لإحضار قوة عسكرية من الكفاح المسلح الفلسطيني في شباط/فبراير 1982، فطوقت المدرسة واعتقلتنا، واقتادتنا إلى سجن أبو الهول قرب المدينة الرياضية، وعُرضنا على القضاء العسكري الفلسطيني في بناية مجاورة، ونحن بعد فتياناً في السادسة عشر عاماً.

ولبرج البراجنة ايضاً طعم الخسارة والفقدان كما فيه حلاوة المراهقة وشقاوة الشباب، هنا فقدت أعز أصدقائي، شركاء الطفولة والحياة، خسرتهم في الحروب المتعددة:

عام 1983 حرسنا المخيم من أي مجزرة جديدة (أرشيف ـ مروان طحطح)

زينكو هاوس

«يصطفل» محمود عباس

قاسم قاسم

لم يكن ينقصنا نحن الفلسطينيين غير أن يكون رئيسنا شخصاً اسمه محمود عباس. فقد أعلن عباس لمضيفه الإسرائيلي في القناة الثانية أن «فلسطين الآن في نظره هي ضمن حدود 67والقدس الشرقية عاصمة لها». هذه هي كل فلسطين. لا أعرف ماذا يمكنني أن أقول. لا أعرف كيف سيبرر أنصاره حديثه هذا. هل يعاني رئيس فتح ضعف نظر؟ هل أصابه «العمى بعيونو» حتى لا يرى أبعد من حدود الـ67. فلسطين من نهرها إلى بحرها في نظره فقط ضمن حدود الـ 67؟ الأنكى من ذلك أن عاصمة فلسطين بالنسبة إليه هي القدس الشرقية فقط. والرجاء التشديد على كلمة «الشرقية»، أي «مش كل القدس».

غريب أمر عباس، فهو نسخة عربية طبق الأصل عن رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو. لا بل إنه أسوأ من نتنياهو؛ إذ إن رئيس وزراء العدو أفضل منه «والله». فالأخير خاصم الرئيس الأميركي باراك أوباما من أجل المستوطنات، وكان الموضوع «متل إجره». فالأهم بالنسبة إليه كان «إسرائيل». أما الرئيس الفلسطيني، فهو لا يستطيع أن يخاصم حاجباً في الإدارة الأميركية. مشكلة عباس مع نظره لا تتوقف عند عدم قدرته النظر أبعد من حدود الـ 67؛ فهو يؤكد للإسرائيليين ويطمئنهم إلى أنه «ضد اندلاع انتفاضة ثالثة، وخاصةً عسكرية، ما دمت في منصبي. هذا هو الوضع الآن وإلى الأبد». يبدو أن عباس «طمعان» في العيش «إلى الأبد». من هو ليطمئن الإسرائيلي إلى أنه لن يخرج أحد ضدهم وضده «الآن». ربما «الحق مش عليه» والأكيد أن «الحق علينا»؛ لأننا نسمح لمن يعتقد بأنه «الممثل الشرعي والوحيد» للفلسطينيين أن يقول مثل هذا الكلام. أحاول أن أفهم لماذا لا نخرج في تظاهرات ضده؟ لماذا لا يقرر الشعب في الداخل والخارج إسقاط الرئيس في رام الله؟ ألا يوجد أحد في فتح أو منظمة التحرير يجرؤ على الوقوف في وجهه ليقول له: «اخرس»؟ ما بعرف.